٣٧

مدرسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية

مركز مدرز للتنمية والدراسات الإسلامية

محاضرة مكتوبة

مشاهد الطبيعة في القرآن الكريم

سماحة
الشيخ مصطفى اليحفوفي

-٢٠٢٥-

مشاهد الطبيعة في القرآن الكريم

تعريف البحث:

يستعرض هذا النص لمضامين محاضرة دينية ألقاها الشيخ مصطفى اليحفوفي في مركز مدرك للتنمية والدراسات الإسلامية التابع لمؤسسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية في النجف الاشرف بالتعاون مع المشروع الثقافي لشباب العراق تتناول مشاهد الطبيعة في القرآن الكريم بأسلوب تحليلي يهدف إلى تجديد دهشة المؤمن وتأمله في الكون. يرفض المحاضر القراءة الروتينية العابرة للنصوص القرآنية، ويقترح بدلاً من ذلك تصنيف الآيات إلى أربعة عناصر أساسية: تهيئة الكون للحياة، وتوفير ضروريات العيش، وتيسير سبل الحياة، وصولاً إلى كمالياتها وجمالياتها. ويربط النص هذه المظاهر الطبيعية بدلالات عقدية كبرى، متمثلة في توحيد الألوهية، والتعرف على أسماء الله وصفاته، والاستدلال على إمكانية البعاد والمعاد. كما يحذر المتحدث من المبالغة في التفسير العلمي الذي قد يخرج الآيات عن سياقها الهدايتي، مشدداً على أن الغرض الأسمى هو كسر حالة الاعتياد التي تفسد الإحساس بعظمة الخالق. ويختتم اللقاء بتقديم نصائح عملية للشباب حول منهجية التدبر، مؤكداً على أهمية الاستمرار في القراءة ولو بمقدار يسير لتعزيز الارتباط الروحي بالقران.

مشاهد الطبيعة في القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

عادةً، عندما أود التحدث في أي جلسة أو محاضرة، نقوم بوضع ترتيبات مسبقة؛ فمنها ما يتخذ طابعاً رسمياً له ترتيبات خاصة، ومنها ما نُجهز له عرضاً مرئياً (PowerPoint) ووسائل مساعدة، ومنها ما يكون حواراً تفاعلياً. في هذا اللقاء، لم تكن الصورة واضحة تماماً بالنسبة لي، ليس تقصيراً من الإخوة المنظمين بل على العكس جزاهم الله خيراً، ولكنني لم أكن أعلم أي لهجة سأعتمد؛ هل تكون تحليلية دقيقة، أم أقرب إلى الخطابية، وهل سيكون الحديث وقوفاً أم جلوساً؟ إن هذه الظروف هي التي فرضت نفسها على الأداء، فتارة نتوقف وتارة نحلل وتارة نسرع. ومن باب النصيحة، من المهم دائماً الخروج من حالة الارتجال في مشاريعنا وأمورنا والتوجه نحو التخطيط، حتى وإن كان ذلك بمقدار بسيط، لأن الارتجال قد يؤدي إلى التشتيت.

موضوع المحاضرة: مشاهد الطبيعة في القرآن الكريم

موضــوعنا اليوم هو مشــاهد الطبيعة في القرآن الكريم. جميعنا نقرأ الكتاب العزيز ونمر بمشـاهد السـماوات، الجبال، النجوم، والأرض، ونعرف أنها تذكير بالنعم، لكننا غالباً ما نمر عليها بنظرة إجمالية عابرة. ما نهدف إليه اليوم هو القيام بشيــء من التحليل والانتباه لهذه المشاهد لنرى كيف ستتغير نظرتنا لتصبح أعمق وشعورنا ليكون أقوى.

لقد اخترت نصــاً من أوائل ســورة النحل لأنه نص طويل يتضــمن أكثر مظاهر الطبيعة، ومن خلاله ســنســتخلص بعض القواعد العامة. وفي تجربة ســابقة بمدينة الكاظمية، وزعت الأوراق على الحضـور وطلبت من قارئ مجيد أن يرتل هذه الآيات بمقام "النهواند" الذي يوحي بالبهجة والفرح، ليتناسب مع موضوع النعم، وكان تفاعل الحضور بالخلفية القرآنية جوهر المسألة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١) يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ (٢) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٤) وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةًۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨) وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ (٩) هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا

وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ (١٥) وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ (١٦) أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ (١٨)﴾.

تصنيف عناصر الطبيعة في النص القرآني

عند تحليلنا لهذه المشـــاهد، نجد أن الله ســـبحانه وتعالى تناول عناصر يمكن تصنيفها إلى أربع مجموعات:

١- أصل تهيئة الكون وصلاحيته للحياة: في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّـــمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَـــخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾.

يتحدث القرآن عن تهيئة الكون ليكون صـالحاً لاسـتقرار الإنسـان. ويظهر ذلك في آيات تســخير الليل والنهار والشــمس والقمر والنجوم. تخيلوا لو كان الكون كله نهاراً؛ ســتتراكم حرارة الشــمس وتؤدي للحرائق وتلف العناصر، ولو كان كله ليلاً لتجمد كل شيء، فالتوازن بينهما هو أصــل إمكانية الحياة. كذلك نجد آية ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾، فلولا الجبال الرواسي لكانت حركة الأرض مضطربة وغير مستقرة للعيش.

لو كان الكون كلّه ليلاً، بلا شمس تُدفئ، لعمّت البرودة، ولتجمّد كلّ شيء، ولانعدمت الحياة؛ إذ إنّ أصل الحياة حينئذٍ غير ممكن. ومن هنا نتساءل: ما علاقة هذا العنصر بإمكان نشوء الحياة أصلاً؟

لاحظوا أنّ له علاقة مباشرة بأصــل إمكانيّة الحياة. وهناك آية أخرى تشــير إلى هذا المعنى بوضوح، وهي قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾.

ولِمَ قلنا ذلك؟ لأنّه لا يمكن أصلاً أن تكون الأرض مستقرة وصالحة للعيش لولا هذه العناصر. ويؤكّد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾؛

فلولا الجبال (الرواسي) لكانت الأرض مضطربة الحركة، غير مستقرة، ومع هذا الاضطراب تستحيل الحياة عليها.

إذن هذان الأمران يدلان على أصلٍ واحد، وهو: إمكان وجود الحياة على الأرض واستقرارها.

العنصر الأوّل: تعاقب الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر.

العنصر الثاني: إلقاء الرواسي في الأرض لمنع اضطرابها.

ولتقريب الفكرة: نحن عندما نسكن في بيت، لا يكفي وجود الجدران والسقف فقط، بل نحتاج إلى تجهيزات وتمديدات؛ كالماء، والكهرباء، والصحّة. فهذه كلّها ضروريّات لإمكان العيش. وكذلك الأرض، لم تُهيّأ للحياة بعنصر واحد فقط، بل بمجموعة عناصر متكاملة تحقق أصل إمكانيّة الحياة واستمرارها.

٢. ضروريات العيش والحياة: في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾. وقوله تعالى: ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾.

بعد استقرار المسكن (الأرض)، يحتاج الإنسان إلى تجهيزات للبقاء. وتشمل هذه الآيات التي تتحدث عن الماء (شراباً وإنباتاً للشجر والزرع)، والطعام مثل الأنعام التي نأكل منها، ولحم البحر الطري.

تقدّم معنا أنّ أصل إمكانيّة وجود الإنسان واستقراره على الأرض أمر، وإمكانيّة عيشه بعد هذا الاستقرار أمرٌ آخر. فالإنسان بعد أن استقرّ على الأرض لا يريد مجرّد البقاء، بل يريد أن يعيش؛ أي يأكل ويشرب، وتتوفر له مقوّمات الحياة الأساسية.

والمقصود هنا ليس رفاهية العيش ولا العيشانية، بل ضروريّات العيش؛ أي العناصر التي بدونها لا يمكن للحياة أن توجد أصلاً.

ومن هنا نبحث عن الآيات التي تدلّ على إمكانيّة العيش والحياة على الأرض بعد تحقّق الاستقرار.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾،

وقال تعالى: ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾.

فالماء هنا له علاقة مباشرة بضرورة الحياة؛ إذ لا حياة بلا ماء، وهذه قضية بديهية، لأنّ الإنسان والحيوان والنبات جميعاً يتوقّفون في أصل وجودهم على الماء. كما أنّه ضروري للنبات الذي سيكون غذاءً للإنسان، وللأنعام التي تقوم عليها معيشته.

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، فهذه الآية تدلّ بوضوح على الطعام، وهو من ضروريّات العيش، لا من كمالياته.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾، حيث يبيّن وجه التسخير في توفير الغذاء، وهو عنصر أساسي لبقاء الحياة.

إذن، بعد استقرار المسكن (الأرض)، يحتاج الإنسان إلى تجهيزات للبقاء، كما يحتاج ساكن البيت – بعد وجود الجدران والسقف – إلى الماء والغذاء. وتشمل هذه التجهيزات: الماء شراباً، والماء سبباً لإنبات الزرع والثمرات، والطعام من الأنعام، والطعام من البحر.

وهنا يلفت النظر أنّ أول عنصر ذُكر في سياق هذه الآيات هو الماء؛ لأنه الأصل في الحياة، ثم يليه الغذاء، ثم سائر ما تقوم به المعيشة الإنسانية.

فصار عندنا جهتان واضحتان:

الأولى: أصل إمكانيّة استقرار الإنسان على الأرض.

الثانية: توفير ضروريّات العيش من طعام وشراب.

وتبقى الجهة الثالثة، وهي ليســـت رفاهية بالمعنى الدقيق، بل تيســـير العيش وتسهيله؛ أي جعل الحياة أيسر وأسهل على الإنسان بعد تحقّق أصل البقاء.

ومن الآيات الدالّة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَسَـخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾، لأنّ تعاقبهما يسهل حركة الإنسان، ونشاطه، وسعيه في شؤون حياته.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سُـــبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، فالطرق وسُـــبُل الهداية تيسيرٌ للحركة والتنقّل، وتنظيمٌ لشؤون المعيشة.

وقال تعالى أيضـاً: ﴿وَسَـخَّرَ لَكُمُ الشَّـمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾، ففي ذلك تنظيمٌ للزمان، ومعرفةٌ للأوقات، وهو من أعظم أسباب تيسير الحياة الإنسانية.

فبهذا تتكامل الجهات الثلاث: الاســـتقرار، وضروريّات العيش، وتيســـير العيش، لتكون الحياة على الأرض ممكنة، ومستقرة، وقابلة للاستمرار.

٣. تســهيل العيش وتيســيره: في قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِـــقِّ الْأَنفُسِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْهَارًا وَسُـــبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

هذه عناصر تجعل الحياة أكثر يسرـــاً، مثل خلق الخيل والبغال والحمير لركوبها وحمل الأثقال إلى بلاد بعيدة. وكذلك الفلك (الســـفن) التي تمخر العباب، والعلامات والنجوم التي يهتدي بها المسافرون في طرقهم.

٤. جماليات وكماليات الحياة: في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَـــحُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَتَسْـــتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُـــونَهَا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾.

لم يقتصر العطاء الإلهي على الضروريات، بل شمل الجمال والرفاهية. نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾، وفي اتخاذ الحلية للباس من البحر، وفي الزينة وتعدد الألوان. إن جمع هذه العناصر في لوحة واحدة في ذهن القارئ يجعله يشعر بعظمة الإبداع الإلهي أكثر مما لو قرأها مفرقة.

الدلالات الثلاث لمشاهد الطبيعة

ذكر الله هذه المشاهد لغرض، فهي آيات تدل على أمور أعمق:

١- دلالة الألوهية والتوحيد: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ دائماً ما يربط القرآن بين المشهد الطبيعي وخالقه، مثل قوله "هو الذي أنزل"، "سخر لكم"، "والقى في الأرض"، ليربط المشهد بالخالق سبحانه.

٢- دلالة الأسماء والصفات الإلهية: نستنتج من الأفعال صفات الله كالعلم والقدرة، والنص يصرح بصفات مثل ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

٣- دلالة المعاد (النشور): يستخدم القرآن إحياء الأرض الميتة بالماء كدليل عقلي على إمكانية إحياء الموتى ونشرهم من القبور، كما في قوله: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾.

آفة الاعتياد وتجديد الإحساس

لماذا يكرر القرآن هذه البديهيات؟ السبب هو أن "الأُلفة تفسد الإحساس"؛ فعندما نعتاد الشيء يصبح روتينياً ولا نعود نتأمل فيه. تماماً مثل "الضوء" في هذه القاعة؛ نحن نرى كل شيء به (الكراسي، الكاميرات) ولكننا ننسى ذكره لأنه ظاهر بنفسه ومألوف جداً. لقد خلق الله الطبيعة خلقاً تكوينياً، ثم عرضها في القرآن خلقاً فنياً لنعيد اكتشافها ونتخلص من موت الإحساس. يجب أن نحاول رؤية نعم الله وكأننا نراها للمرة الأولى، كما في شخصية "زوربا" الذي كانت تدهشه أبسط الأشياء.

نصائح عملية للشباب حول القراءة التدبرية

بناءً على تســـاؤل حول كيفية بدء القراءة التدبرية، يمكن تلخيص الخطوات فيما يلي:

١- التعود على القراءة: ابدأ بكميات بسيطة جداً، مثل خمس آيات قصيرة أو آيتين طويلتين يومياً بانتظام. لا تضـغط على نفسـك بقراءة أجزاء كبيرة في البداية لكي لا تفشـل وتتوقف.

٢- التدبر الموضوعي المبسط: اختر موضوعاً واحداً (مثل آيات الطبيعة أو الأنهار) وتتبع تكراره في القرآن. جمع الآيات المتشـابهة في الأوراق أو باسـتخدام التطبيقات (مثل حقيبة المؤمن) يساعدك على استخراج أفكار ودلالات جديدة لم تكن تلتفت إليها.

٣- الحذر من التفسـير العلمي المتكلف: بعد هذا الحدّ من الحديث أودّ أن أُحذِّر من أمرٍ مهم، لا على نحو التعيين في مثالٍ بعينه، وإنما على سبيل التنبيه العام:

وهو أنّه لا يصحّ لنا أن نتمسّك إلا بالآيات الصريحة الواضحة، التي يوافق عليها أهل الاختصاص، لا أن ننجرّ وراء ما يُسمّى بـ«التفسير العلمي للقرآن» على هذا النحو المتكلَّف؛ لأنّ هذا المسلك – بصراحة – قد يفضحنا ولا يخدم موقفنا.

كثيراً ما تقع حادثة صغيرة أو كبيرة، لها علاقة أو لا علاقة لها بالقرآن، فيُقال مباشرة: «القرآن قالها»، ثم يُلوى عنق الآيات لتنسـجم مع المطلوب. وهذا منهج خطير، يضرّ ولا ينفع، بل يُضعف الموقف بدل أن يقوّيه.

ولو أخذنا آيةً واحدةً أو آيتين واضـحتين يقينيّتين من مجموع القرآن الكريم، لكان ذلك كافياً ومغنياً عن هذا التكلّف.

وأذكر مثالاً يُتداول كثيراً في باب الإعجاز العلمي، وهو قوله تعالى: ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[1]. فيُقال: إنّ القرآن أشـــار إلى الذرّة الفيزيائية وأنّها قابلة للانقســـام، مع أنّ الناس – قديماً، كاليونان وغيرهم – كانوا يعتقدون أنّ الذرّة لا تنقسم.

لكن هذا الفهم غير دقيق؛ لأنّ كلمة «الذرّة» في اللغة العربية لا تعني الذرّة الفيزيائية بالمعنى الاصطلاحي الحديث، بل تُطلق على أصغر ما يُتصوَّر من الأشياء، كالنملة الصغيرة جدّاً، أو الدقائق التي تُرى في شعاع الشمس الداخل من النافذة.

فمن أين جئنا بتفسيرها على أنّها الذرّة الفيزيائية؟

لا نقول إنّ الله تعالى لا يعلم حقيقة الذرّة ولا يمكن أن يُشـــير إليها، ولكن هل ثبت أوّلاً أنّ الآية في مقام الحديث عن هذا المعنى العلمي الدقيق؟ أم أنّها تتحدّث بالمعنى اللغوي الشائع المعروف في ذلك الزمان؟

وهنا ينبغي التنبّه؛ لأنّ تحميل النصّ القرآني ما لا يدلّ عليه بوضـــوح، يفتح باباً للإشكال، ويجعلنا في موقف ضعيف بدل أن يكون موقفنا قويّاً ومتيناً.

٤- أوصـيكم بالالتزام بوقت محدد للقراءة، فقرآن الفجر مثلاً له خصـوصـية، وهذا التعود سيجعل القرآن مألوفاً لديكم ويسهل عليكم فهمه وتدبره.

أما قرآن الفجر، فهو مشهود، أي أن قراءة الفجر لها أثر وفضل. هذه الآية صحيحة، لكن ما معنى "مشهود" هنا؟ هل يقصد فتح أبواب السماء، أم شيء آخر؟ المعنى العام أن قراءة الصـــباح، حتى لو كانت مطالعة عادية، لها دلالة وفضـــل خاص، لكن الكلام حوله يحتاج تفصيل.

٥- بالنسبة للتفاسير المناسبة للشباب، أنا كنت أراجع بعض التفاسير الأخيرة أثناء بحثي، وكتبت منها، لكن الآن صرت شـبه ناسي أسـماء بعضـها. من التفاسـير المبسـطة

[1] - سبأ: ٣

والطويلة التي أعجبتني تفسير "الأمثل"، لكنه قد لا يناسب كل الشباب. بعض الموارد فيها التأمل، وبعضها لا، ولا أقصد التطرق إلى صاحب التفسير نفسه، فقط ما استوقفتني بعض الأمور أثناء البحث.

الشاب الذي لديه اطلاع ديني جيد يمكنه الرجوع إلى هذه التفاسير، أما من لا، فالتفاسير المبسطة قد تكون أفضل له. لاحقاً، إذا حصل تواصل، فسأستفيد من بعض التفاسير التي استعنت بها عند كتابة كتاب "الله يتجلى في الجمال"، رغم أنني الآن نسيت أسماءها، ولم أعد أشتغل بها دائماً.